كلية العلوم الاجتماعية شعبة الانثروبولوجيا

د.عبد اللاوي ليندة مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الانثروبولوجيا السياسية

المحاضرة الرابعة

رواد الانثروبولوجيا السياسية

- **هام لفائدة الطلبة:**

- اليكم هذه الصفحات من كتاب جورج بالانديه ، المطلوب من كل الطلبة انجاز بطاقة قراءة فردية (خاصة بكل طالب على حدة) لمحتوى هذه الصفحات وارسالها لي على البريد الالكتروني كوني المسؤولة على هذا المقياس ، على العنوان التالي:
- lindaabdellaoui@yahoo.fr

سوف يتم قراءة وتقييم كل بطاقة وتحسب نقطة التقويم مع نقطة التطبيق الخاص بالمقياس. الرجاء من الطلبة اعداد بطاقة قراءة حسب المنهجية المتبعة في ذلك الشأن .

اولى أهمية كبيرة لهذا العمل وأتمنى من الطلبة اتركيز القراءة المتمعنة لهذه القطع من الكتاب.

2 ـ إعداد الانتروبولوجيا السياسية

بما أن الانتروبولوجيا السياسية تقرن بتفحص الغرابة السياسية وبالتحليل المقارن الذي تقودنا إليه يمكن اعتبارها بعيدة الجذور . وبالرغم من بعض الإشارات المتكررة في عهود شتى ، فقد تهيأت لها الحياة ببطء ؛ وكان لولادتها المتأخرة أسباب تفسّر جزئياً تغيراتها .

أ ـ الرواد

جدد الأنتروبولوجيون مسار عملهم وأعادوا غالباً اكتشاف المعالم البعيدة لهذا العلم والتي تشهد على الطابع الدائم (والمحتم) لاهتماماتهم الأساسية . فغلوكمان يستعين بـ « ميثاق الحكم » الذي وضعه أرسطو وبحثه عن الأسباب التي تؤدي إلى انهيار الحكومات القائمة وبمحاولته تحديد قوانين التغيير السياسي . ويذكر د . ف . پوكوك بالعناية التي أولاها سابقاً فرنسيس باكون للشهادات الخاصة بالمجتمعات المغايرة أو « المتوحشة » . بينما يذكر لويد فالرز Lloyd Fallers بتمييز ميكياڤيلي ـ في الأمير ـ نوعين من الحكم يمثلان نموذجين من النماذج المثالية التي ميّزها أيضاً ماكس فيبر في علم الإجتماع السياسي الذي وضعه وهما : «الحكم الوراثي » و « الحكم السلطاني » .

مع ذلك ، من المناسب أن نفتش عن رواد المسيرة الأنتروبولوجية في عداد مبدعي الفكر السياسي خلال القرن الثامن عشر . ويبقى الرائد

المفضل هنا مونتسكيو الذي يشير إليه د . ف . بوكوك مستنداً إلى « روح القوانين » قائلاً : « إنها أول محاولة جدية لوضع قائمة بتنوع المجتمعات الإنسانية ، بهدف تصنيفها ومقارنتها ومن أجل دراسة عمل المؤسسات الإجتماعية المتكافل »[3] . ولأن المجتمعات تحدد حسب طرقها في الحكم ، هذا الإسهام يهيّء لظهور علم الإجتماع والأنتروبولوجيا السياسية . ولكن يمكننا أن نجد فيها أكثر من هذا التصوير المسبق وان نستبقي منها أكثر من تعريف صيغة سياسية مدعوة لنجاح علمي مؤجل وهو : « الإستبداد الشرقي » .

ولقد أحدث مونتسكيو « ثورة في المنهج » حسب قول ل . التوسر L. Althusser ؛ فهو ينطلق من الوقائع التالية : « القوانين ، التقاليد ، الممارسات المختلفة لشعوب الأرض » ؛ لقد وضع مفهوم النماذج والقوانين ؛ واقترح تصنيفاً تشكلياً (مورفولوجياً) وتاريخياً للمجتمعات التي ينظر إليها كمجتمعات سياسية .

يوصف روسو غالباً بالفيلسوف السياسي استناداً إلى كتابيه « أحاديث عن عدم المساواة » و « العقد الإجتماعي » . غير ان اختصاصيي السوسيولوجيا والانتروبولوجيا السياسية لم يقدّروا مساهمته حق تقدير فهذه لا تقتصر على عقد مفترض خرج به النوع الإنساني من حالته « البدائية » وغيّر طريقة عيشه ولا تقتصر على مجموع الأدلة التي يعتبرها ث . ن . باركنسون من « بلاغة القرن الثامن عشر » ومن « شيخوخته » . متابعاً البحث المستحيل عن الأصول ، يتفحص روسو علمياً ممارسات « الشعوب المتوحشة » ويستبصر أبعادها التاريخية والثقافية . وتناول بدوره نسبية « روح القوانين » واعترف أن الدراسة المقارنة للمجتمعات تسمح بفهم أفضل لكل

(3) D. F. Pocock, «Social Anthropology», Londres, 1961, P. 9.

منها ؛ ووضع تفسيراً بكلمات مشتقة من التكوين : عدم المساواة وعلاقات الإنتاج هما محركا التاريخ . وهو يعترف في الوقت نفسه بخصوصية كل نسق اجتماعي وبالنزاع المستمر بين « قوة الأشياء » و « قوة التشريع » . وأحياناً تجسد مسبقاً مواضيع كتاب « مقال حول عدم العدالة » تحليل فريدريك انجلز المفسرً « لأصل العائلة والملكية الخاصة والدولة » .

هذا وقد بعثت بعض تيارات الفكر السياسي للقرن الثامن عشر مع ماركس وانجلز ، اللذين تتوافق مؤلفاتهما مع مخطط لانتروبولوجيا اقتصادية ـ مع توضيح لنمط الانتاج الآسيوي ـ ولانتروبولوجيا سياسية ، خاصة مع الأخذ بالإعتبار « الاستبداد الشرقي » وتجلياته التاريخية . وقد نظما هذا الفكر انطلاقاً من توثيق للمجتمعات الغريبة مأخوذ عن : روايات المسافرين ووصفهم ، كتابات تستعرض التجمعات القروية ودول الهنود خلال القرن التاسع عشر ، وأعمال المؤرخين وعلماء في علم العراقة (الإتنولوجيا) . يلبي مشروعهما (المخطط أكثر مما هو منجز) حاجة مضاعفة : العثور على سيرورات تكون الطبقات الإجتماعية والدولة بتحليل التجمعات البدائية وتحديد خواص مجتمع « آسيوي » يبدو فريداً . وينطوي هذا المنهج على شيء من التناقض الداخلي ، وخاصة إذا تناولنا مساهمة فريدريك انجلز . فهذا الأخير يعالج التاريخ الغربي كممثل للتطور العام للإنسانية مقدماً هكذا رؤية موجزة لمستقبل المجتمعات والحضارات . إضافة إلى ذلك ، انه بمقدار ما ينظر في كل المجتمع « الآسيوي » والدولة التي تديره على نحو منفصل بمقدار ما يؤخذ هذا المجتمع من خارج التاريخ ويحكم عليه بالركود النسبي وبالثبات . وقد استمرت هذه الصعوبة في ثنايا الأبحاث الأنتروبولوجية الأولى ، فهذه الأبحاث تسعى من جهة لدراسة عمليات التكوين وسيرورات التكون ، مع الإقرار انه من شبه المستحيل « الكشف عن أصل المؤسسات البدائية » (فورتس وإيڤانس ـ بريتشار) ؛ ومن جهة

أخرى ، تتمسك هـذه الأبحاث بـالأشكال الأكـثر خصوصيـة للمجتمعات والحضارات وغالباً على حساب فحص الصفات المشتركة والسيرورات العامة التي ساهمت في تكوينها .

ب ـ الأنتروبولوجيون الأوائل

لقـد تفحص هؤلاء الظواهـر السياسيـة ولا سيما من الجـانب التكـويني وبتكتّم واضح أمكن إنكار فائدتهم في هذا الميدان . ويعلن مـاكس غلوكمان عن العجز الكامل عند هؤلاء بقـوله : « لم يتنـاول أي من الانتروبـولوجيـين الأوائل المسألـة السياسيـة ولا حتى ماين Maine ، إذا اعتـبرناه من الأسـلاف . ربما لأن الأبحاث الأولى في الانتروبولـوجيا اهتمت بـالمجتمعات الصغـيرة في اميركا واستراليا وأوقيانيا والهند »[4] .

رغم ذلـك تبقى العودة للرواد شيئـاً عـادياً . وفي الفـترة المـذكـورة ، والمهملة غالباً وضع السير هنري ماين مؤلفـه الشهير : « القـانون القـديم » Ancient Law (1861) . تكشف هـذه الـدراسـة المقـارنـة للمؤسسـات الهنـدو ـ أوروبيـة عن « ثـورتـين » في صـيرورة المجتمعـات : انتقـال من المجتمعات المبنية على المركز إلى المجتمعات القائمة على العقد ؛ وانتقـال من النـظم الإجتماعيـة المرتكـزة على القـرابة إلى النـظم المعتمدة عـلى مبدأ آخـر وخـاصة مبـدأ « التجاور المحـلي » الـذي يحـدد « أسـاس العمـل السيـاسي المشـترك » . وهذا التـمايز الثنـائي هو في أسـاس الجدل القـائم أبـداً ويبقى المرجع الذي يذكر غالباً هو كتاب « المجتمع القـديم » (1877) لمؤلفه ل . هـ . مورغان ملهم فريدريك انجلز والأب المؤسّر لأكثريـة الأنتروبـولوجيـين المعاصرين . فهو يقر بنوعـين من الحكم « متمايـزين كلياً » معـبرين بالنسـبة لتطور المجتمعات القديمة : « النـوع الأول من حيث الترتيب الـزمني وعماده

(4) M. Gluckman, «Order and Rebellion in tribal Africa», 1963, P. 4.

الأشخاص والعلاقات الشخصية الصافية ؛ ويمكن اعتباره مجتمعاً (Societas) . . . الأرض وملكيتها في أساس النظام الثاني ويمكن اعتباره دولة (civitas) . . . ويكون المجتمع السياسي منظماً على أسس من البنى الإقليمية ، ويأخذ بالإعتبار علاقات الملكية وكذلك علاقات تقيمها الأرض (أو المقاطعة) بين الأشخاص[5] . إن طريقة نمط التفسير هذه تسعى عملياً بالأنتروبولوجيا إلى أن تتبنى حرمان مجتمعات كثيرة من الصفة السياسية . لقد كان مورغان ضحية منظومته النظرية المقتبسة جزئياً عن أعمال هنري ماين . فقد خصص عدة فصول من مؤلفه الكبير « لفكرة الحكم » ، ولكنه لم يُبْقِ إنسجام النظام العشائري (المجتمع البدائي) مع بعض أشكال التنظيم السياسية بشكل أساسي (الارستقراطية ، الملكية) وأثار هكذا جدلاً دائماً داخل النظرية الأنتروبولوجية ، استعاده مرة أخرى إ . شابيرا عام 1956 في كتابه : الحكم والسياسات في المجتمعات القبلية .

ج ـ الأنتروبولوجيون المسيّسون

بعد العام 1920 ظهرت انتروبولوجيا سياسية متميزة ، لم تعد ضمنية بل واضحة ، انها تنطلق من المسألة (الاشكالية) القديمة ، ولكنها تستفيد من مواد البحث العراقي (الإتنوغرافي) الجديدة ؛ وتبحث من جديد في الدولة ، في أصلها وتعبيراتها الأولى ، وهي قضية كان قد تناولها فرانز أوپنهايمر Franz Oppenheimer في بداية القرن (Der Staat, 1907) .

في غضون سنوات قليلة نشرت دراستان مهمتان استجابتا لنفس القضية : دراسة ماكليود W. C. MacLeod التي استخدمت مجموعة وثائق علماء العراقة المتأمركين وهي : إعادة النظر في أصل الدولة على ضوء المعطيات المتعلقة بسكان أميركا الشمالية الأصليين (1924) ، The Ori-

(5) L. H. Morgan, «Ancient society», 1877, P. 6 sq., P. 61.

gin of the state Reconsidered in the Light of the Data of aboriginal North America ودراسة ر . هـ . لـويٌ ـ أصل الدولة The origin of the state (1927) ـ التي تحدد دور العوامل الداخلية الخاص (تلك التي تولد التمايز الإجتماعي) ودور العوامل الخارجية (الناتجة عن الغزو) في بناء الدول . وهما نتاجا محاولات تريد أن تكون علمية ، مستندة على الوقائع ومتميزة تماماً عن مشاريع الفلسفة السياسية .

ومسألة الأصول هي أيضاً المسألة التي تناولها سير جايمس فرايزر ؛ لقد واجه العلاقات بين السحر والدين والملكية ؛ وأصبح بذلك رائداً للأعمال التي تفسر علاقة السلطة بالمقدس . وفتحت مجالات بحث جديدة ؛ وانتهى بعضها إلى الإعتراف بنظريات الحكم الأجنبية وتأويلها : فقد نشر بني پرازاد Beni Prasad « نظرية عن الحكم في الهند » Theory of Government in India سنة 1927[6] . وراحت المؤلفات العامة لعلماء السياسة تقوم بهجمات قصيرة انتروبولوجية ؛ وهكذا فإن كتاب « نظريات التاريخ السياسي » (1924) لمؤلفه أ . أ . غولد نڤيسر A. A. Goldenweiser يلمح بشكل خاص لنظام الايروكوا السياسي في أميركا الشمالية .

ونرى أن الأبحاث الانتروبولوجية الأولى منحت حيزاً ضيقاً جداً للوقائع السياسية . وهذا بحث ف . بو وا F. Boas (الانتروبولوجيا العامة) يخصص فصلاً واحداً لمسائل الحكم ؛ وينظم بحث ر . لوي (المجتمع البدائي) فرضيات الكاتب ويتضمن خاتمة موجزة بالنتائج الأساسية . أما الثورة الانتروبولوجية الحاسمة فهي ثورة الثلاثينات ، وهي فترة تكاثرت فيها الدراسات الميدانية والصيغ النظرية والمنهجية الناجمة عنها .

---

(6) في خلال العشرينات، تكاثرت الدراسات المخصصة لفكر الهندوس السياسية، نذكر منها دراسات غوستال (1923) وعجير قمر سن (1926) ون . ث . باندیوبادیا (1927) .

وتقود الأبحاث المخصصة للمجتمعات المجزأة (المسماة « دون دولة ») ولبنى القرابة ولنماذج العلاقات التي تحكم هذه البنى إلى تحديد أفضل للميدان السياسي وإلى فهم متقدم لتنوع وجوهه .

وقد تكاملت القفزات الأكثر سرعة في المجال الافريقي ؛ فالمجتمعات موضوع البحث منظمة على نطاق واسع ؛ يظهر فيها تمايز علاقات القرابة والصلات السياسية الصرفة أكثر وضوحاً من المجتمعات الصغيرة « القديمة » . وعام 1940 نشرت ثلاثة مؤلفات أصبحت الآن كلاسيكية . اثنان من بينها وضعهما إ . إ . إيفانس ـ بريتشار ويشرحان نتائج البحوث الميدانية ويتضمنّان افتراضات نظرية جديدة . الأول هو « شعب النويريين » The Nuer ويقدم هذا الكتاب السمات العامة لمجتمع نيلي (نسبه للنيل) ويكشف في الوقت نفسه عن العلاقات والمؤسسات السياسية لشعب يفتقر ظاهرياً للحكم ، ويبرهن على إمكانية وجود « فوضوية منظمة » . والكتاب الثاني هو « النسق السياسي عند الانواك » وهو حصراً دراسة انتروبولوجية سياسية تتناول شعباً سودانياً مجاوراً للنويريين ، وكان قد اعتمد شكلين متناقضين ومتنافسين لحكم الناس . المؤلف الثالث وهو مصنف جماعي ، أشرف عليه إ . إ . إيفانس ـ بريتشار وم . فورث وعنوانه : « النظم السياسية الافريقية » . يلبيّ هذا الكتاب الحاجة للمقارنة مقدماً « حالات » متميزة بوضوح وتستهله مقدمة نظرية ويقترح مخططاً لعلم النماذج وقد قيمه م . غلوكمان كأوّل مساهمة تستهدف منح طابع علمي للأنتروبولوجيا السياسية . صحيح أن المسؤولين عن هذا المؤلف يسجلون ابتعادهم عن « الفلاسفة السياسيين » الذين لم يهتموا بالوصف قدر اهتمامهم « بالقول أي حكم يجب أن يمنح الناس أنفسهم » . ولا شك بأن هذا التأكيد يثير تحفظات معينة ولكن أي اختصاصي لا يستطيع أن ينكر فضل هذين الانتروبولوجيين الكبيرين .

بعد عام 1945 زاد عدد علماء السياسة المستفرقين بسرعة . وكانت دراستهم أولاً نتيجة عمل دؤوب نفِّذ ميدانياً . فقد تفحصت هذه الدراسات المجتمعات المجزأة (فورتس، ميدلتون ، تيت ، سوتهال ، بالانديه) والمجتمعات الدولية في الوقت نفسه (نادل ، سميث ، ماكيت ، مرسي ، آبتر ، بيتي) وحثت على القيام بأبحاث نظرية ووضع تركيبات إقليمية مقارنة لأنظمة متشابهة ؛ وفيما يخص المجتمعات النسبية (« قبائل بلا حكم » الصادر عام 1958 باشراف ميدلتون وتيت) ودول المنطقة البحرية الشرقية (« الحكم البدائي » المنشور عام 1962 ، ل . مير) ، يرتدي كتاب شابيرا « الحكم والسياسات في المجتمعات البدائية » (1956) أهمية عامة كما يوحي عنوانه وذلك رغم اعتماده فقط على أمثلة مستعارة من افريقيا الجنوبية . وهو يفحص الأواليات التي تحقق عمل الحكومات البدائية ويوضح بعض المسائل الخاصة بالمصطلحات . وتقيم الأعمال الحديثة جداً ، والتي توجهها مواقف نجمت عن الاستقلال ، صلة بين الانتروبولوجيا السياسية وعلم السياسة (أبتر ، كولمان ، هودغكين ، بوتكين ، زيغلر) . انها تؤكد على ضرورة التعاون بين شتى الميادين العلمية .

وهناك مؤلف يتوج الأدب المتخصص خارج المجال المستفرق ، انه الكتاب الذي خصصه آ . ر . ليتش E. R. Leach للبنى والأنظمة السياسية للكاشانين في برمانيا : « الأنظمة السياسية لبورما العليا » 1954 Political systems of Highland Burma . تقوِّم هذه الدراسة الجانب السياسي للظواهر الإجتماعية . وعلى خطى ناديل (واسلافه) أقيمت المطابقة بين المجتمع الكلي و « الوحدة السياسية » ، بينما اعتبرت البنى الإجتماعية نفسها بالإستناد إلى « الأفكار الخاصة بتوزيع السلطة بين الأشخاص ومجموعات الأشخاص » . وقد أعدَّ آ . ر . ليتش ـ وهذا هو اسهامه الأكبر ـ بنيوية دينامية غنية بالإيحاءات النافعة للأنتروبولوجيا

السياسية ، وكشف التقلب النسبي للتوازنات الإجتماعية ـ السياسية (انها « توازنات متحركة » حسب قول پاريتو)، وانعكاس « التناقضات » والإختلال بين نظام العلاقات الإجتماعية والسياسية من جهة ونظام الأفكار المرتبط بها من جهة أخرى . وفرض بشدة تفحص قضايا المنهج .

3 ـ مناهج الانتروبولوجيا السياسية واتجاهاتها

لم تتميز الطرائق في البداية عن مجمل المنهج الانتروبولوجي وهي أصبحت أكثر نوعية عندما تناولت الانتروبولوجيا السياسية المضمرة حتى ذاك الحين مسائل خاصة بها وهي : صيرورات تكوّن المجتمعات الدولتية ، طبيعة الدولة البدائية ، اشكال السلطة السياسية في المجتمعات المتمتعة بالحد الأدنى من الحكم ، الخ . . . واكتسبت هذه المناهج أصالتها الكاملة منذ أن أصبحت الانتروبولوجيا السياسية مشروعاً علمياً يستهدف موضوعاً ما وأهدافاً محددة للغاية . وهكذا تلقت تأثير العلوم الإجتماعية السياسية السائدة ـ تيار ماكس فيبر او نادراً جداً تيار ماركس وانجلس (مثلاً حالة ليسلي وايت) . واستفادت رغم ذلك من وجوه التقدم التي أحرزتها الانتروبولوجيا العامة .

تتميز هذه الطرائق بالأدوات التي تلجأ إليها وبالمسائل التي اشتغلت عليها ، ولا يكون تعريفها كافياً بمقارنة الأعمال النظرية ، التي تبني مجالها الدراسي مرتكزة على اسهام الأبحاث الميدانية ، والأعمال التي تقتصر على الإعداد الفوري للمعطيات الناتجة عن البحث المباشر . من المناسب وضع قائمة موجزة بهذه الطرائق وذلك قبل تقديم فعاليتها العلمية في معرفة الحقل السياسي .

أ ـ المنهج التكوّني

انه الأول في تاريخ الأنتروبولوجيا السياسية والأكثر طموحاً في الوقت

نفسه . ويطرح على نفسه مسائل المنشأ و « التطور » الطويل الأمد : الأصل السحري أو / والديني للملكية ، مسيرة تكوّن الدولة البدائية ، تحوُّل المجتمعات المبنية على « القرابة » إلى مجتمعات سياسية ، الخ . . . تمثّل هذا المنهج عبر عدة مؤلفات ـ ابتداءً من مؤلفات الرواد حتى دراسة و . ث ماك ليود التاريخية : أصل السياسات وتاريخها (1931) ـ The origin and History of politics . ومن زاوية ما وجد هذا المنهج نتيجته في الأبحاث العرفية التي أوحت بها الماركسية والتي أدخلت إليه تصويراً ديالكتياً عن تاريخ المجتمعات .

المرجع:

- جورج بالانديه، الانثروبولوجيا السياسية، ترجمة: علي المصري، الطبعة الثانية ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2007